الزواج بالأجنبيات

وأضراره بالأسرة المصرية

أخذت الحكومات فى السنوات الأخيرة تحرم على موظفيها الذين يعملون فى السفارات والقنصليات أو حتى فى مصالح ومكاتب الوزارات الخارجية أن يتزوجوا من أجنبيات. ومن كان منهم قد سبق له التزوج من أجنبية أحيل الى مصالح أخرى لاتتصل بوزارة الخارجية. وقد كان لحكومتنا نصيب فى هذا الاتجاه الجديد.

والسبب الواضح لهذا الاتجاه أن التوتر السياسى الذى فشا بين الدول فى السنوات الأخيرة قد أحدث ألوانا من التوجس والشبهات. ففكرت كل دولة فى النتائج المريبة التى يمكن أن تنتج من موظف قد تزوج بإحدى السيدات التى تنتمى الى دولة أخرى ليست على صداقة متينة مع الدولة التى ينتسب هو اليها. فان الزوجة محور المجتمع وهى التى تختلط بالعائلات اكثر من زوجها فاذا كان الزوج قد تحدث اليها فى بعض الشؤون التى تتصل بأعمال الخارجية او السفارية فإن حديثها الى ضيوفها قد يفشى أسرارا كانت تحرص الدولة على كتمانها. بل ليس هناك ما يمنع من أن يكون ولاء الزوجة لوطنها السابق أوثق وأعمق فى نفسها من ولائها للوطن الذى ينتسب اليه الزوج. وقد تتعمد لذلك إيصال هذه الاسرار الى دولتها.

ومع أن هذه الحوادث قليلة فإنها لخطورتها يجب أن يحسب لها حساب عند كل دولة. ومن هنا هذه القوانين الجديدة التى فرضت على كثير من موظفى وزارة الخارجية ألا يتزوجوا بأجنبيات فى المستقبل وأن يحال المتزوجون منهم باجنبيات الى أعمال أخرى فى الوزارات الأخرى.

وهذا بعض ماينجم من الزواج باجنبيات. ولكن هناك اضرارا أخرى تتصل بالبيت والمجتمع والسعادة الزوجية ونشأة الأبناء وتربيتهم ووطنيتهم وعقائدهم. وكل هذه الأمور يجب اعتبارها عند التفكير فى الزواج باجنبية. وفيها بل فى بعضها ما يكف عن الاقدام على هذه المغامرة.

والغالب أن هذا الزواج يتم فى بعض العواصم الأوربية حيث يجد الطالب المصرى مايغريه به، ومعظم العقود الزوجية التى ربطت بين مصرى وأجنبية انما تمت فى مثل هذه الظروف أى حين يقصد شبابنا الى عاصمة أوربية أو امريكية للتحصيل. ثم تلق بهم المصادفات فى أسرة حيث يستأجرون إحدى الغرف بمنزلها. ثم تحدث ألفة ما بين الشاب واحدى فتيات هذه الأسرة

تنتهى بالزواج . وبدهى أنه كما أننا نحن فى مصر نكره الزواج بالأجنبيات أو الأجانب ولا نحب أن نترك ابنتنا وطنها لكى تعيش فى أرجنتينا أو الصين كذلك تحس الأسرة الاجنبيـة كراهة لمثل هذا الزواج لابنتها . وهى تعارض فيه كل المعارضة ولكنها تسلم فى النهاية لميزات قد تراها فى الزوج إما لحرفته وأما لمـاله .

والغالب لذلك أيضا أن الشاب المصرى الذى يتزوج بأجنبية قلما يوفق الى فتاة من طبقته لأن مثل هذه الفتاة تجد من أبناء وطنها من يتزوجها من هذه الطبقة . وهى لا ترضى بأن تترك وطنها وتتحمل مساوئ الغربة فى وطن ناء الا إذا كان الزوج يعلو عليها فى الطبقة ويمتاز كما قلنا بالمـال أو الحرفة . ومن هنـا ينشأ التفاوت الاقتصادى والاجتماعى بين الزوجين . فإن الشاب المصرى على الدوام تقريبا يختار فتاة دونه . ويتحمل ما ينشأ من هذا التفاوت من صعوبات .

ثم هو عند عودته الى مصر يجد صعوبات أخرى قد لايكون أقلها أن يشعر أنه لايسعد زوجته بالاقامة فى بيئة مصرية لم تتعود عاداتها ولم تألف عرفها . فإن هذه الزوجة التى نشأت على أسلوب معين فى المعيشة عند أهلها تجد اختلافا كبيرا بين ما ألفت من قديم وبين ما تجد من جديد . ومن البعيد جدا أن تتبدل شخصيتها وأن تنزل على الأحيسة الجـديدة . ولذلك يشق عليها أن تعيش بين أهل زوجها الذين تجد افرادهم يحتقرونها لأنها تأكل على طريقة معينـة أو تتحدث الى الرجال فى جرأة شاذة أو تكثر من الخروج من المنزل أو تعامل زوجها بغير ما يعامل به الأزواج فى مصر . وهى تجد من حماتها العجوز نفورا يشبه المقاطعة لأن أم الزوج التى لايسهل عليها أن تتسامح تحس أن ابنها قد انفصل عن مجتمعه المصرى بزواجه بهذه "الإفرنجية" وهى تعتقد أن فى هذا الزواج من العار ما يجلب عليها نقد الأقارب ويجعلها هى وابنها فى وحشة اجتماعية ترد أسبابها الى هذه الزوجة .

والعادة أن الزوج فى مثل هـذه الحالات ينتهى إلى الانفصال عن أهله لكى يعيش مع زوجته بعيدا عن قوارص الكلمات التى تسمعها زوجته كل يوم تقريبا . ولكنه حين ينفصل من أسرته يجد نفسه أيضا قد انفصل عن مجتمعه . لأن شعور الكراهة أو النفور الذى وجده نحو زوجته من أفراد أسرته سيجد مثله من السيدات فى الأسر الأخرى . وعندئذ يرى بيته مهجورا إلا من الأجانب والأجنبيات الذين ينتمون إلى وطن زوجته . وليست هذه الحال ممـا يسر لها أى زوج أو ينتظر منها خيرا لنفسه أو لأبنائه . لأن الزوجة عنـد ما تجد أنها هى وأولادها مبعدة عن الوسط المصرى وحين تجد أن وسطها فى القاهرة قد استحال إلى وسط أجنبى لايلبث أن يؤثر عليها هذا التغير تأثيرا نفسيا . وعندئذ هى التى تنقل زوجها إلى الوسط الأجنبى بدلا ممـا كان يأمله زوجها من نقلها إلى الوسط المصرى . ثم تتلو ذلك

جميع النتائج التى تترتب على هذا الانفصال الروحى والمادى من الوسط المصرى . فان الأطفال ينشأون — فى مصر — نشأة أجنبية لغة وعاطفة وثقافة . وليس لنا أن نستغرب هذه الحال. لأن هؤلاء قد نشأوا وهم يرون بيتا أوربيا قد لايكون فيه من المصريين غير الخادم ويرون أن الزائرين جميعهم من الأجانب فهم يتنفسون جوا أجنبيا يباعد بينهم وبين البيئة المصرية .

وتتفاقم هذه الحال إذا مات الأب . فإن الأم عندئذ لا تجد ما يربطها بمصر . فهى تعيش فى حى أجنبى ولا تبالى أية رقابة. فإذا كان زوجها قد أورثها مالًا تعيش منه فالأغلب أنها تترك مصر وتعود بأولادها إلى المدينة التى قدمت منها . وهناك ينسى الأطفال بيئتهم المصرية السابقة وينشأون نشأة أوربية محضة. ويندثر ذكر الأب، بل لا يكاد أبناؤه أنفسهم يذكرونه .

وبعض الشبان يتحلون أعذارا لتبرير هذا الزواج بالأجنبيات، كأن يقول الشاب إنه قد عاش فى أوربا واختلط بالمجتمع الأوربى وأخذ بأساليبه، وهو لذلك يشق عليه أن يتزوج فتاة مصرية لا تبلغ درجته فى الحضارة أو الثقافة ولا تستطيع أن تزامله. وهذا القول من التعللات السخيفة ، لأن كل هذه الميزات قد أصبحت تتوافر فى المرأة المصرية بعد أن انتشرت المدارس وأقبلت الأسر على تعليم أبنائها من الجنسين. وحتى عندما نفرض أن الفتاة الأوربية تمتاز بهذه الميزات المذكورة فإن اختلاف المجتمع المصرى من المجتمع الأوربى يجعل هذه الميزات جميعها عقيمة . ويجعلها هى شقية بهذا المجتمع كما يضع زوجها فى مأزق متوالية يكره من أجلها حياته .

وبعد كل هذا لا يمكن الشاب المصرى أن يتخلص من عواطفه القومية والوطنية . وهى تحتم عليه أن يؤثر الفتاة المصرية على الفتاة الأجنبية حتى عند تخلفها عنها فى الرقى . فانه لايستطيع أن يقف من هذه المسألة موقف المحايد أو غير المبالى يختار كما يملى عليه هواه أو عاطفته الوقتية. لأن الزواج واجب اجتماعى. أى واجب وطنى. والوطنية تملى علينا هنا إيثار المصرى أو المصرية على غيرهما . واذا كان مجتمعنا متخلفا فان الواجب المحتوم على كل منا أن يرقيه ويصلحه . ولا يكون هذا الاصلاح بالهروب منه الى مجتمع آخر واتخاذ زوجة أجنبية تنشئ بها عائلة أجنبية وإنما يكون ببذل المجهود الدائب فى ترقية الفتاة المصرية حتى تصير زوجة صالحة فى عائلة سعيدة .